وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية

المحاضرة العاشرة

فتوحات السلطان سليمان القانوني

(١٥٢٠-١٥٦٦م)

اعداد

م.د.أسامة عبد الخالق عايد

للعام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

السُلطان يشهد حصار القلعة.

دام الحصار والقتال خمسة أشهرٍ كاملة، بذل فيها كُلٌ من العُثمانيين والإسبتاريين النفس والنفيس للانتصار على الآخر، فحاول العُثمانيُّون اقتحام القلعة المرَّة تلو الأُخرى، فصُدُّوا. قال البجوي: «... وَسعوا وجدُّوا بالقَدر الذي لم يُعلم حتَّى ذلك الوقت أنَّ سعيًا واجتهادًا هكذا قد حَدَث في سبيل أيِّ قلعةٍ قط، حتَّى إنَّهُ مشكوكٌ في أن يحدث مثله فيما بعد، وقد شُنَّت أكثر من مائة هجمَة، حتَّى أصبحت أبراج وأسوار القلعة مصبوغة باللَّون الأحمر القاني من دم الشُهداء الذين كان يتزايد عددهم في كُلِّ هجمةٍ عن العدِّ والإحصاء».

والحقيقة أنَّ قلعة الفُرسان كانت في قمَّة الحصانة، ويُحتمل أنها كانت أحصن من بلغراد، بل لعلَّها كانت أحصن قلاع العالم، كما أنَّ المُحاصرين دافعوا عنها دفاع الأبطال، خُصوصًا الرُهبان، وقيل إنَّ النساء كانت تُساعد الرجال في الدفاع بإلقاء الأحجار على المُحاصرين وصب الزُيُوت الحارَّة على رؤوسهم، لكنَّ لم يجد كُل ذلك شيئًا في النهاية أمام المدافع العُثمانيَّة الجبَّارة، كما أخذ الجُنُود ينقرون أطراف القلعة ويُلغِّمونها بالبارود، فهدموا مواضع كثيرة من أسوارها، وصاروا يقتحمونها المرَّة تلو الأُخرى، فيصدَّهم الإسبتاريُّون. وفي أثناء ذلك وصل إلى الجزيرة أربعٌ وعشرون غرابًا مملوءًا بالذخائر والبارود والمؤن من جانب مصر، أرسلها واليها خاير بك، فساعد ذلك في إطالة أمد الحصار، حتَّى اضُطَّر المحصورون في نهاية المطاف إلى التسليم بالهزيمة. وفي ٢ صفر ٩٢٩هـ المُوافق ٢١ كانون الأوَّل (ديسمبر) ١٥٢٢م، أرسل شيخ الفُرسان اثنين من رُهبانه إلى السُلطان يطلب منه الأمان والسماح لهم بإخلاء الجزيرة خلال اثنيّ عشر يومًا، بشرط أن تبتعد الجُيُوش العُثمانيَّة عن المدينة المحصورة مسافة ميلٍ من كُلِّ جهاتها حتَّى لا يحصل للمحصورين ضرر عند خُرُوجهم، فقبل السُلطان ذلك.وفي ٥ صفر المُوافق ٢٤ كانون الأوَّل (ديسمبر) دخل السُلطان القلعة واستلمها بالأمان، وقابل شيخ الإسبتاريين الذي شكره على مُعاملته السمحة، وسماحه للفُرسان بالخُرُوج، ومُعاملته الأهالي النصارى بالحُسنى، فواساه السُلطان وامتدحه، وأنعم عليه بخلعةٍ سنيَّة، وقال: «إني لآسفٌ لاضطراري إلى إخراج مثل هذا الشيخ الجليل من دياره». وفي شهر ربيعٍ الأوَّل ٩٢٩هـ المُوافق لشهر كانون الثاني (يناير) ١٥٢٣م، أبحر فُرسان الإسبتاريَّة إلى جزيرة إقريطش، ثُمَّ غادروها بعد ثماني سنواتٍ إلى وطنٍ أكثر ديمومة في مالطة، فعُرفوا مُنذ ذلك الحين بـ«فُرسان مالطة». وهكذا اقتُلعت وأُزيلت من شرق المُتوسِّط آخر دولة لاتينيَّة كاثوليكيَّة من بقايا الحملات الصليبيَّة، لتُصبح آخر دولةٍ صليبيَّة يقضي عليها المُسلمون. ويُقال إنَّ البابا أدريان السادس كان خلال هذه الأيَّام يُجري مراسم عيد الميلاد في كاتدرائيَّة القدِّيس بُطرس في رومة، فتدحرجت حجارة سقطت من حافَّة سقف الكاتدرائيَّة نحو قدميه، فتشاءم قائلًا: «سقطت رودس».أمَّا السُلطان فقد أمر بفتح جميع الجُزر الصغيرة التابعة لرودس، ففُتحت كُلَّها، مثل قوص وسُنبكي، إضافةً لمدينة بُطرُم التي كانت بحوزة الإسبتاريين. كما أُطلق سراح قُرابة ستة آلاف أسيرٍ مُسلم كانوا في الجزيرة، وأُعفي

أهلها من الروم من الجزية لثلاث سنوات، وأُسكنت بالمُسلمين القادمين من الأناضول. كذلك احتفظ العُثمانيون بالغُراب «يشيل مَلَك» الذي عبر به السُلطان إلى رودس كما أُسلف، وأبقوه في الترسانة البحريَّة للجزيرة لقرونٍ عديدة، وعرضوه على زُوَّارها.فتنة المماليك وعصيان أحمد باشا في مصر عيَّن السُلطان سُليمان السردار جوبان مُصطفى باشا واليًا على مصر وأرسله إليها رفقة خمسمائة إنكشاري في عشرة أغربة، وذلك قُبيل إتمام فتح رودس، إذ كان قد بلغه خلال حصارها أنَّ والي مصر السابق خاير بك قد توفي.

وكان خاير بك قد مات يوم ١٤ ذي القعدة ٩٢٨هـ المُوافق ٣ تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٥٢٢م، بعد أن تولَّى مصر خمس سنوات وثلاثة أشهر وسبعة عشر يومًا، فأُقيمت له جنازة كبيرة ودُفن في مدرسته. وصل مُصطفى باشا إلى مصر يوم ٢٣ ذي الحجَّة المُوافق ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) من السنتين سالفتيّ الذكر، ولم يمضِ وقتٌ طويل على استقراره في القاهرة حتَّى أخذ أُمراء المماليك يُظهرون العصيان، مُستغلِّين الفوضى الناتجة عن الفترة الانتقاليَّة، فخرج كاشف الغربيَّة الأمير جانُم الحمزاوي في نحو أربعة آلاف مملوكٍ شركسيّ إضافةً إلى عربان، وهجم على القاهرة، فتصدَّى له من وُجد في المدينة من الجُنُود العُثمانيين بأمر مُصطفى باشا، فاندلع القتال بين الفريقين من الضحوة إلى العصر، فانكسر العُصاة وقُتل جانُم المذكور وقُطعت رأسه، ولم يفلت من أصحابه سوى جمعٌ يسير.أمَّا السُلطان سُليمان فإنَّه حينما وصل إلى إسلامبول عزل الصدر الأعظم پيري مُحمَّد باشا الجمَّالي لأسبابٍ مُتنوِّعة، منها أنَّه كان وزير والده، ورجُلًا عالمًا فاضلًا وقورًا، فكان السُلطان يستحي منه ومن مُخالفته؛ وهو سُلطانٌ شاب يُريد الاستقلال والعمل برأي نفسه، فعزله للاستبداد في أمره. ومنها أيضًا أنَّهُ أراد تولية الصدارة العُظمى لخليله وأخص خواصه إبراهيم آغا البرغلي، الذي كان حينها «خاص أوده‌باشي»، أي رئيس الخدم الخاصين بالسُلطان. ومنها أيضًا أنَّ الوزير أحمد باشا الكرجي كان يسعى به عند السُلطان، ويفتري عليه أُمورًا يكرهها السُلطان ليدفعه لعزله ظنًا منه أنه إذا عزله نصَّبه مكانه، فخاب ظنُّه. ومنها أيضًا أنَّ مُحمَّد باشا أخطأ في بعض تدابيره في مُحاصرة رودس، فأظهر السُلطان الأمر الأخير سببًا لعزله، وعيَّن بدلًا منه إبراهيم آغا المذكور، وضمَّ إليه أيضًا ولاية الروملِّي.تكدَّر أحمد باشا لمَّا لم ينل مراده، وطلب من السُلطان أن يُعيَّن واليًا على مصر، فأُجيب إلى ذلك وتوجَّه إليها. وكان من أسباب قبول السُلطان بتعيينه أنَّه رغب بإبعاده عن العاصمة والسراي المُلُوكيَّة، سيَّما وأنَّ جميع أهل الديوان كانوا قد أصبحوا عاجزين ومُتأذين من يده ولسانه، فخيف من إفساده أكثر من هذا. وما إن وصل الخبر إلى مُصطفى باشا بوُصُول أحمد باشا إلى الإسكندريَّة واليًا على الديار المصريَّة حتَّى خرج من القاهرة قبل أن يصل إليها الوالي الجديد. وكان مُصطفى باشا رجُلًا عاقلًا يعلم سفاهة أحمد باشا وغلظته، فلم يرغب بمُلاقاته في قصبة مصر، بل لاقاه على النيل ثُمَّ اتجه إلى إسلامبول. أمَّا أحمد باشا فإنَّه ما إن دخل القاهرة حتَّى شرع في مُقدِّمات العصيان، فأخذ في استمالة أُمراء المماليك إليه بإقطاعهم الأراضي وإغضائه عمَّا يرتكبونه من أنواع الآثام والمظالم، ولمَّا تحقَّق من إخلاصهم أعلن العصيان مرَّةً واحدةً، واستولى على قلعة الجبل بعد قتل حاميتها، وأعطى الاهتمام لأشقياء المماليك الشراكسة، وحرص

علـى إهانـة المُـوالين للسُـلطان واسـتحقارهم، وسـعى لتغييـر بعـض القـوانين وتبـديلها، ولـوائح المُعـاملات. ولمَّـا بلـغ هـذا الخبـر مسـامع السُـلطان أرسـل سـرًا إلـى أعظـم أُمـراء مصـر المـدعو «قرهموسـى» يُعلمـه بتوليتـه الـبلاد ويـأمره بـالقبض علـى أحمـد باشـا وقتلـه، لكـنَّ الأخيـر علـم بـالمُخطط بفضـل أعوانـه فـي البـاب العـالي، فبـثَّ الجواسـيس فـي المعـابر والمـوانئ ليتحـرُّوا أمـر القـادمين إلـى الإيالـة والمُسـافرين منهـا، فوقـع فـي أيـديهم الجـاووش الـذي أرسـله السُـلطان يحمـل الأمـر، فسـاقوه إلـى أحمـد باشـا الـذي قتلـه وقرهموسـى مـع كُـلٍّ من توهَّم منه من الأُمراء وأهل الديوان، ثُمَّ أمر بضرب النُقُود وقراءة الخطبة باسمه.

وكـان مـن الأُمـراء الـذين قـرَّبهم أحمـد باشـا إليـه رجـلٌ يُـدعى مُحمَّـد بـك، ويُلقَّـب «قاضـي زاده»، وهـو مـن أُمـراء المماليـك الـذين ثبَّـتهم السُـلطان سـليم فـي مركـزهم حينمـا ضـمَّ مصـر، وكـان رجـلًا عـاقلًا مُـدبِّرًا، فلاطـف أحمـد باشـا وأظهـر المُوافقـة لـه بحيـثُ صـار لـه بمنزلـة الـوزير وكـاتم أسـراره، إلَّا أنَّـه اتفـق سـرًا مـع بقيَّـة أُمـراء مصـر وأعيـان الـديوان علـى مُخالفـة هـذا الخـائن وإتمـام أمـره عنـدما تسـنح الفُرصـة، فهجمـوا عليـه يومًـا وهـو فـي حمَّـام، فهـرب مـنهم إلـى البريَّـة واسـتجار بعبـد الـدايم بـن بقـر شـيخ العـرب، غيـر أنَّ القُـوَّات السُـلطانيَّة لحقتـه، وطوَّقـت مُخـيَّم الشـيخ عبـد الـدايم وهـدَّدوه إن لـم يُسـلِّمهم العاصـي، فأتـاهم بـه، فأمسـكوه وقطعـوا رأسـه وطـافوا بهـا فـي القـاهرة ثُـمَّ أرسـلوها إلـى إسـلامبول. وعـيَّن السُـلطان بـدلًا منـه گوزلجـة قاسـم باشـا واليًـا علـى الـديار المصـريَّة، وكافـأ مُحمَّـد بـك بتقليـده وظيفـة دفتـردار الإيالـة.وفـي شـهر رجـب ٩٣٠هـ المُوافـق لشـهر أيَّـار (مـايو) عـيَّن السُـلطان سُـليمان الصـدر الأعظـم إبـراهيم باشـا واليًـا علـى مصـر، وكلَّفـه بتنظـيم أمورهـا ورفـع المظـالم التـي تراكمـت فيهـا نتيجـة حكـم خـاير بـك ومـن تـلاه، وإرجـاع الأمـن إلـى رُبُوعهـا، ثُـمَّ أرسـله إليهـا برفقـة خمسـمائة إنكشـاريّ، فخـرج إبـراهيم باشـا مـن إسـلامبول فـي ١ ذي الحجَّـة ٩٣٠هـ المُوافـق ٣٠ أيلـول (سـپتمبر) ١٥٢٤م، ولـم يـتمكن مـن السـفر بحـرًا لقُـرب الشـتاء، فسـار بـرًا حتَّـى وصـل القـاهرة يـوم ٨ جُمـادى الآخـرة ٩٣١هـ المُوافـق ١١ نيسـان (أبريـل) ١٥٢٥م، فمكـث فيهـا شـهرين ونصـف شـهر ونظَّـم أُمـور الإيالـة علـى أكمـل وجـه، فـأجرى إصـلاحات مُهمَّـة، ونظَّـم الإدارة وفـق الـنمط العُثمـاني، وقلَّـل الضـرائب، واجتمـع بأصـحاب الشـكايات مـن المصـريين واسـتمع إلـيهم، كمـا جـدَّد عمـارة جـامع عمـرو بـن العـاص، ثُـمَّ خـرج مـن مصـر يـوم ٢٢ شـعبان المُوافـق ٢٣ حُزيـران (يونيـو) مُتوجهًـا نحـو إسـلامبول، مـارًّا بدمشـق وقيصـريَّة، فوصـل العاصـمة يـوم ١٨ ذي القعـدة المُوافـق ١٥ أيلـول (سـپتمبر)، وقوبـل بكُـلِّ إجـلالٍ واحتـرام لعُلـوِّ منزلتـه عنـد السُـلطان.فُتُوحـات تتـر القـرم خـلال انشـغال العُثمـانيين بعصـيان أحمـد باشـا فـي مصـر كـان خـان القـرم مُحمَّـد كـراي بـن منكلـي الجنكيـزي، التـابع للدولـة العُثمانيَّـة، يحمـل علـى الـروس ويُنـزل بهـم هـزائم قاسـية. ففـي سـنة ١٥٢١م حمـل علـى خانيَّـة قـازان التـي نصَّـب الـروس عليهـا حاكمًـا صـوريًّا تابعًـا لهـم هـو «شـاه علـي»، فشـتَّت الجُيُـوش الروسـيَّة ودخـل مدينـة قـازان وخلـع الحاكم الصوري المذكور، ونصَّب بدلًا منه شقيقه «صاحب كراي».

وفـي شـهر تمُّـوز (يوليـو) مـن السـنة ذاتهـا قـاد مُحمَّـد كـراي وشـقيقه صـاحب حملـةً كبيـرةً لفـتح مدينـة مسـكوب والقضـاء علـى الخطـر الروسـي الـذي اسـتمرَّ يُهـدد التتـر فـي هـذه الـبلاد مُنـذ أن سـقطت خانيَّـة القبيلـة الذهبيَّـة قبـل قُرابـة عشـرين سـنة، فسـارا علـى رأس جـيشٍ مـن

مائـة ألـف جُنـدي، فـدمَّرًا وأحرقـا جميـع البلـدات والقُـرى الواقعـة شـرق العاصـمة الروسـيَّة، ثُـمَّ ضـربا الحصـار علـى مسـكوب التـي فـرَّ منهـا أميرهـا باسـيل بـن يُوحنَّـا الروركـي عنـدما علـم بـاقتراب التتـر، لكـنَّ الشـقيقين فشـلا فـي اقتحـام المدينـة لمناعـة اسـتحكاماتها، فأغـارا علـى أطرافهـا وأحرقاهـا، وأسـرا الكثيـر مـن أهلهـا. دام الحصـار التتـري لمسـكوب أُسـبوعين اضـطُّر النُـبلاء الـروس فـي نهايتـه إلـى التعهُّـد لمُحمَّـد كـراي، نيابـةً عـن الأميـر باسـيل، بـدفع جزيـة سـنويَّة بـنفس المقـدار الـذي كـان يُـدفع لخـوانين القبيلـة الذهبيَّـة قـديمًا، فرضـي بـذلك وانسـحب مـع شـقيقة جنوبًـا.هـاجم الـروس فـي ربيـع سـنة ١٥٢٣م خانيَّـة قـازان وانتصـروا علـى التتـر فـي بضـع وقعـات، فـردَّ صـاحب كـراي بغـاراتٍ انتقاميَّـة علـى الأراضـي الروسـيَّة، وحاصـر مدينـة قـاليج دون أن يـتمكَّن مـن فتحهـا. وفـي غُضُـون ذلـك حصـلت فـتنٌ داخليَّـة فـي بـلاد القـرم، إذ قُتـل الخـان مُحمَّـد كـراي علـى يـد ولديـه «غـازي» و«بابـا»، وتقلَّـد الأوَّل الحُكـم وجعـل أخـاه وزيـرًا لـه، لكـنَّ السُـلطان سُـليمان لـم يقبـل ذلـك، بـل عـيَّن عمَّهمـا «سـعادت كـراي» خانًـا بـدل أخيـه مُحمَّـدًا المقتـول، وأمـدَّه بجـيشٍ مـن الإنكشـاريَّة، فقبـل غـازي تعيـين عمِّـه وصـار هـو وزيـرًا لـه. وفـي سـنة ١٥٢٤م هـاجم صـاحب كـراي مدينـة نيجنـي نُڤغـورُد وفتحهـا، ثُـمَّ أرسـل سـفيرًا إلـى شـقيقه سـعادت فـي القـرم طالبًـا منـه إرسـال مـدافع وبنـادق وجنـود إنكشـارية إلـى قـازان تخوُّفًـا مـن رد فعـلٍ مُحتمـلٍ للـروس، لكـنَّ سـعادت رفـض مسـاعدة أخيـه الأصـغر، فتوجَّـه الأخيـر إلـى إسـلامبول طالبًـا الـدعم مـن السُـلطان سُـليمان، وأعلـن خُضُـوعه وتبعيَّتـه للدولـة العُثمانيَّـة، ممَّـا يعنـي أنَّ حُـدودها امتـدَّت إلـى شـمال غربـي بحـر الخـزر ودلتـا الإتِـل حينـذاك. لكـن رُغـم ذلـك فـإنَّ السُـلطان لـم يمـنح صـاحب كـراي مُسـاعدةً تُـذكر لرغبتـه بـالتركيز علـى القضـايا والمُشـكلات الأوروبيَّـة، لـذا اضـطُرَّ الخـان التتـري إلـى الانسـحاب مـن قـازان والعـودة إلـى القـرم مـا إن علـم بتقـدُّم جـيشٍ روسـيٍّ كبيـرٍ إليـه يقـوده الأميـر باسـيل نفسـه، وتـرك ابـن أخيـه «صـفاء كـراي» البـالغ مـن العمـر ثلاثـة عشـر ربيعًـا علـى عـرش تلـك الخانيَّـة.ضـم الأفـلاق وفتنـة الإنكشـاريَّة فـي إسـلامبول رغـب السُـلطان فـي سـنة ١٥٢٤م أن يجعـل إقلـيم الأفـلاق إيالـةً عُثمانيَّـة كسـائر إيـالات الدولـة، ولـم يكـن لهـا عليـه إذ ذاك إلَّا السـيادة والجزيـة مُنـذ عهـد السُـلطان مُحمَّـد الفاتح.

وسـبب ذلـك أنَّ أميـر هـذه الـبلاد «تيُودُسـيُس» (بالرومانيـة: Teodosie) كـان قـد التجـأ مـع والدتـه إلـى إسـلامبول بعـد أن هُـزم جيشـه نتيجـة صـراعاتٍ انـدلعت بـين عشـائر أشـراف تلـك الـبلاد للهيمنـة علـى العـرش، وتـوفي فـي العاصـمة العُثمانيَّـة سـنة ١٥٢٢م. وكـان أبـرز مـن ادَّعـوا بحقِّهـم فـي العـرش الأفلاقـي أميـر سـنجق نيكـوبُلي مُحمَّـد بـك، وهـو أفلاقـيٌّ اعتنـق الإسـلام وادَّعـى وُجُـود صـلةٍ نسـب بينـه وبـين آل «كرايُڤشـت» (بالرومانيـة: Craiovești) الـذين تولُّـوا حُكـم الـبلاد مُنـذ سـنة ١٥١٢م، وطلـب فرمـان التوليـة والتثبيـت مـن السُـلطان سُـليمان. لكـن سُـرعان مـا بـرز مُنـافسٌ قـدير علـى العـرش الأفلاقـي، هـو «رادو الأفُمَتسـي» (بالرومانيـة: Radu de la Afumați)، ابـن رادو الرابـع المُلقَّـب بـالكبير، فـتمكَّن مـن دحـر قُـوَّات مُحمَّـد باشـا واسـتولى علـى العـرش، مُنتهجًـا سياسـةً عدائيَّـةً تجـاه العُثمـانيين وسـائر الأُمـراء المُنافسـين. دارت معـارك ضـارية علـى الأراضـي الأفلاقيَّـة بـين قُـوَّات هـذا الأميـر والقُـوَّات العُثمانيَّـة بقيـادة علـي باشـا ميخائيـل أوغلـي أميـر سـنجق سـمندريَّة، وقُـوَّات الأميـران ڤلاديسـلاڤ الثالـث و«رادو بَـدِكا» (بالرومانيـة: Radu

Bădica) خلال الفترة المُمتدَّة بين سنتي ١٥٢٣ و١٥٢٤م، كان النصر فيها إلى جانب رادو الأفْمَتسي، فكان هذا ما حفَّز السُلطان سُليمان على التحرُّك لضمِّ الإقليم وجعله إيالةً تحت السُلطة المُباشرة للدولة.

سيَّر السُلطان جيشًا ناحية العاصمة الأفلاقيَّة ترگُوشتة سنة ١٥٢٤م، فاستولى عليها، لكنَّ أعيان البلاد ثاروا وأيَّدوا بقاء رادو الأفْمَتسي أميرًا عليهم، ودعمهم في ذلك أمير الأردل يُوحنَّا زابوليا، فقبل السُلطان ونزل عند رغبتهم مُقابل زيادة الجزية التي كانت تدفعها هذه الإمارة عمَّا كانت عليه قبلًا، فعاد الجيش العُثماني أدراجه، في حين توجَّه السُلطان للإشتاء بمدينة أدرنة.

ولمَّا عاد السُلطان إلى إسلامبول في ١ جُمادى الآخرة ٩٣١هـ المُوافق ٢٥ آذار (مارس) ١٥٢٥م، علا تذمُّر الإنكشاريَّة لجُلُوسهم دون قتال وبالتالي قلَّة مُرتَّباتهم، فأشعلوا نار الفتنة، ونهبوا سراي الصدر الأعظم إبراهيم باشا الذي كان إذ ذاك بمصر، ومحلَّة الجمرك، وعدَّة أماكن أُخرى من منازل الأعيان، وعلى رأسهم الوزير الثاني أياس باشا والدفتردار عبد السلام، وحارة اليهود، ولولا أن تدارك السُلطان الخطب بنفسه لامتدَّ العصيان، لكنَّه أسكتهم عن السلب والنهب بتوزيع ألف دوقيَّة عليهم، ثُمَّ فتَّش عن مُحرِّكيهم، فعلم أنهم: قائد الإنكشاريَّة مُصطفى آغا، والباشكاتب حيدر أفندي وكيخيته مُصطفى باشا قبرانبالي، فقتلهم جميعًا. ووصل إلى علم السُلطان أيضًا فساد وظُلم فرحات باشا، الذي ساهم في القضاء على ثورة جانبردي الغزالي وقتل علي بك بن شهسوار كما أُسلف، لا سيَّما حينما تولَّى بكلربكيَّة الروملِّي ثُمَّ إمارة سنجق سمندريَّة ثُمَّ سرداريَّة الأناضول، فأمر بقتله، فقُتل في شهر مُحرَّم سنة ٩٣٢هـ المُوافق لشهر تشرين الأوَّل (أكتوبر) ١٥٢٥م. وفي هذه السنة فوَّض السُلطان قُبطانيَّة السويس إلى سلمان ريِّس، وأرسله في عشرين غُرابًا إلى سواحل اليمن ليدفع عنها الخطر البُرتُغالي.

والمعروف أنَّ سلمان ريِّس المذكور كان قد وقع خلافٌ بينه وبين حسين باشا الرومي والي جدَّة، الذي فشل في ضم السواحل اليمنيَّة إلى ولايته نتيجة حيلولة والي اليمن المملوكي إسكندر الجركسي دون ذلك، فما كان من سلمان ريِّس إلَّا أن توجَّه إلى القاهرة حينما كان الصدر الأعظم إبراهيم باشا موجودًا فيها، فحثَّه على إرسال حملةٍ تحت قيادته لاستعادة النُفُوذ العُثماني في اليمن، فوافقه على ذلك وسعى له عند السُلطان.ابتداء المُراسلات بين السُلطان وملك فرنسا

ذه الحملة قلعة سكدين و«تبتل» ثُمَّ باج، التي أبدت مُقاومة شديدة، إذ تحصَّنت حاميتها وأهلها في كاتدرائيَّتها وبذلوا النفس والنفيس في مُقاومة العُثمانيين، فقتلوا كثيرًا منهم قبل أن يستسلموا. وفرَّت جماعة من المجريين إلى قلعة «مجالينة» جوار «باج» و«وارادين»، فحفروا الخنادق حولها وأحكموا أطرافها وتحصَّنوا بداخلها. ولمَّا وصل الخبر إلى الصدر الأعظم، هاجم القلعة بمن معه من الجُنُود، ودارت بين الطرفين رحى معركة وقتال «لم يحدث مثله في فتح أي قلعةٍ حصينة»، فقُتل من المُسلمين آغا الإنكشاريَّة المدعو «شُجاع آغا»، والسَكْبَانباشي وقائد الجاووشيَّة، والكثير من قادة المُشاة والأُمراء الغُزاة. ولم يكف المجريُّون عن القتال حتَّى بعد أن تمَّ فتح القلعة،

فاستمرُّوا ينقضون على العُثمانيين ويُقتلون الواحد تلو الآخر. حصل الفاتحون على قدرٍ هائلٍ من الغنائم بُعيد تمام هذه الحملة، بحيث كان نصيب الجُندي يزيد عن النصاب، فملأ كُل عسكريّ حمله من الأواني الفضيَّة والذهبيَّة ومن الأقمشة النفيسة، وألقى الجل والخرقة التي كانت زائدة عن حاجته، وساقوا الأسرى أمامهم، فتبيَّن أنَّهم كانوا «يزيدون عن أضعاف جُند الإسلام». تنظيمات السُلطان في المجر وعودته إلى إسلامبول